ومهما يكن، فلا يرد ذكر لأحد في هذه المجموعة من القبائل أدّى الزكاة فعلاً إلى الرسول. ويقال أن عديّاً قد جمع الزكاة؛ ولكن قبل أرسالها إلى المدينة، توفي الرسول. وعليه، تعرض عدي لضغط من قبيلته لإعادة ماجمعه لأصحابه، لكنه نجح في تهدئتها وأقنعها بانتظار التطورات في المدينة. ولما انتخب أبو بكر، وسيَّر جيش أسامة، سارع عدي بإرسال الصدقة إليه[٢١]. ولكن فزارة وسُلَيم، وهما بطنان من غطفان، فقد استعادا ما أدَّياه من زكاة، وأجبرا عاملي الرسول على الهروب[٢٢].

والمصادر تتحدث عن قدوم وفد عن هذه القبائل إلى المدينة للتفاوض مع أبي بكر؛ فطلب الإعفاء من أداء الصدقة، وتعهد بإقامة الصلاة. لكن أبا بكر رفض هذا الطلب[٢٣]. وإذا صحت هذه الرواية، فإن هذه القبائل كانت ترغب بالتحالف مع المدينة، ولكن دون الالتزام المالي. وتجمع المصادر على قول أبي بكر: "والله لو منعوني عقالاً لجاهدتهم عليه"[٢٤]. وبإصرار أبي بكر على جباية الصدقة، وامتناع القبائل عن أدائها، لم يبق من خيار إلا الاحتكام للسلاح، وهذا ما حصل فعلاً.

فعندما فشلت المفاوضات، عاد الوفد إلى دياره يحمل أخبارها. فقرر البعض الالتزام بالاتفاق الذي كان له مع الرسول، وبعث الصدقة إلى المدينة[٢٥]، أما الآخرون ـ من القبائل الثلاث، غطفان، أسد، وطيِّئ- فقد راحوا يعدون للحرب مع المدينة، وعقدوا حلفاً بينهم، والتفوا حول طلحة بن خويلد، سيد أسد[٢٦]، الذي تقدمه الرواية التقليدية على أنه نبيٌّ كذاب. وهذا